تخطي الأزمات الاقتصادية وانجاز الحكومة الديموقراطية العالمية: قراءة في فكرجاك أتالي.

د/عبد الرزاق أمقران
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
جامعـــة سطيف

الملخّص :

اهتم المستشار السابق للرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران،و الأديب و المفكر جاك أتالي بالأزمة العالمية التي جعلت العالم كله على المحك وترجم الاهتمام هذا إلى مجموعة أعمال فكرية نشرت في كتب و مقالات اقترحت في مجملها ثلاث قضايا كبرى هي: تشخيص الأسباب التي أدت إلى الأزمة و أسباب تكرارها ثم اقترح وصفة متكاملة للخروج من هذه الأزمات وأخيرا حدد ملامح مرحلة مستقبلية يتجه العالم نحوها،ينجز فيها مايسميه"الحكومة الديموقراطيةالعالمية. العالم بأسره–بنظر جاك أتالي– مطالب بالالتفاف حول هذه الحكومة الديموقراطية العالمية و التي إن تحققت،ستعمل على تجاوز مصالح القوى العظمى و ستعمل على توفير حماية لهوية كل حضارة وستسير مصالح البشرية جمعاء بما هومتاح.

Abstract:

Jacques attali, the adviser of the former Frenchpresident, FrançoisMitterrand,but also a great economist and a man of arts, has directedrecently his academic interests towards the study of recurrent economic crisis which are overwhelming the world in unexpected effects and unprecedented trends. He has translated his ideas, positions and theories in a set of articles, books and mass-media appearances and altogether meet at three principal issues. He somehow, predicts that the world in its hard efforts tobebetter off, will have no alternative than to establish what hecalls “The worlddemocratic government”.

مقدمـــــة

ألف المفكر الفرنسي جاك أتالي مجموعة من الكتب خصصها لدراسة الأزمة العالمية التي كادت أن تدخل العالم بأسره في أوضاع اقتصادية و اجتماعية كارثيـــة بـــرزت معالمهـــا الأكثر تأثيرا بداية من 2008.

يصف الكاتب جهده الفكري بأنه قراءة جديدة للأزمة و قراءة لما يهدد العالم

<<il nous faudra replacer les événements récents dans leurs contexte historique, démystifier les raisonnements que suscitent toutes les paniques, donner une lecture neuve de cette crise et de ce qui nous attend. [1]>>

القراءة هذه حسب رأيه، تعتمد أساسا على النظر إلى الأزمة كفرصة أخيرة تتـــاح للعـــالم قبل الكارثة الكبرى. العالم إن أحسن قراءة ما حدث و استخلص الدروس بإعادة ترتيب ما يجب ترتيبه، تمكن من بناء هيكل عالمي يقوم على أسس غير تلك الأسس المهيمنة إلـــى يومنا هذا، الامر الذي لن يتحقق برأي الكاتب إلا بعد قرن من الزمن و بشـــرط تـــوافر الكثير من الشروط التي قدم بشأنها تفصيلا مستفيضا.

الملاحظ على القراءة المقترحة و في المقام الأول، أنها تموج بين عناصر التفاؤل و تكاد تتوغل فيه، و بين عناصر من التشاؤم تكاد تقنع باستحالة تخطي الأزمة. و بـــين هـــذا و ذاك، يقترح المفكر برنامج عمل و خطة مستقبلية إن تم اعتمادهما على نطـــاق واســـع، عرف العالم الخلاص.

و قبل هذه الخطة، قدم جاك أتالي في مرحلة متقدمة من الإطار النظري، تعريفـــا يحـــدد طبيعة الأزمة و يصفها بالأزمة المالية، و في مرحلة تالية يقدم تشخيصـــا دقيقـــا ضـــمنه الكثير من البرهنة النظرية و الشواهد الميدانية، و الكل يتسق و الأزمة الماليـــة، أو كمـــا يرى هو. أخيرا يعرض البديل لما هو موجود و نقطة الارتكاز فيه هو إعادة ترتيب العالم انطلاقا من إعادة ترتيب "منبع الداء"، مصـــدر الأزمـــة، و يعنـــي الولايـــات المتحـــدة

الأمريكية. و في المجمل، فإن غاية تنفيذ البديل هذه هي الانتقال بالعالم إلى حالة عالمية تتسيد فيها " حكومة عالمية " و تسير شؤونه و فق ترتيبات يحصل حولها الاتفاق.

ارتأيت أن أخصص حيزا في المقالة–قبل عرض افكار جاك أتالي–أوضح فيها كيف أتيت إلى كذا موضوع في سياق اهتماماتي البحثية المتعددة ويسهل علي أن أصنف مبررات اختياري لأعمال المفكر الفرنسي إلى مبررات معرفية وأخرى ذاتية.

مبررات اختيار موضوع المقالة.

أ–مبررات معرفية. يعود اهتمامي بموضوع الأزمات التي عاشتها المجتمعات في الماضي و التي تعيشها في وقتنا الراهن،إلى وقت قريب جعلني ادرس الظواهر المرتبطة بالأزمات وقد كلل الجهد المبذول بنشر كتاب جماعي يتدارس أبعاد الأزمة في المجتمع الجزائري،عمل موسوم" دراسات في سوسيولوجيا الأزمة:الجزائر نموذجا".وبالتالي، تقاطعت دروب اهتمامي مع اهتمام المفكر الفرنسي في نفس الفترة و وجهتني مؤلفاته المعتمدة في المقالة إلى أمر التدقيق في أطاريحه الفكرية الحاضرة في موضوع الأزمة الإقتصادية. إضافة إلى هذا المبرر المعرفي الأول، يمكنني أن أعبر عن المبرر الثاني عبر إلحاحي على أن المتخصص في العلوم الإنسانية و الاجتماعية لا يملك ذلك الحق الذي يمنحه لنفسه من حيث أنه ينأى بنفسه عن دراسة الأزمة بكل أشكالها و تبعاتها بمبرر أن القضية قضية خبراء وضالعين في الاقتصاد وهو بذلك يتجاهل الأبعاد الاجتماعية المحتملة و الأبعاد النفسية والثقافية. وبكلمات اكثر بساطة، لا أرى نفسي بعيدا عن موضوع الأزمة وأنا يوميا أعايشها وأتعايش معها،بل أعتبر نفسي جزءا منها.

ب–مبررات ذاتية.

لاشك أن الدارس لفكر جاك أتالي لايمكنه إلا أن يقر بقوة التحليل و وضوح الرؤى وسعة الأفاق لكنما يهمني بنفس الدرجة هو طموحي أن أكتشف ملامح شخصية فكرية تنهل من مشارب شتى بنفس الإقتدار.إنه ليس من التواضع في شيء أن أعترف بإعجابي ثم تأثري بثلة من العاملين في حقول الإنسانيات و الاجتماعيات لايتقوقعون حول الاختصاص ويسبحون في الفضاء الواسع للمعرفة فيزيدونها تراكما. ويبدو أن جاك أتالي مرشح بقوة لكي يدرج ضمن قائمة هؤلاء الذين لا يعترفون بالحدود المصطنعة في المعرفة الإنسانية.

أولا: تعريف جاك أتالي للأزمة.

لا ينكر جاك أتالي في الإطار النظري المقترح كون السوق يمثل الميكانزم الأحسن لتوزيع الموارد النادرة، لكنه في الوقت نفسه لا يرى له قدرة على أن يقيم لنفسه دولة القانون التي يحتاجها، هذا من جهة، كما أن السوق لا يستطيع انشاء الطلب الضروري لتشغيل وسائل الإنتاج على المستوى العالي، من جهة ثانية.

المجتمع القائم على السوق، برأي جاك أتالي لن يعرف طريقه نحو النجاعة إلا إذا توافرت مجموعة من الشروط هي:

- تقوم دولة القانون بضمان حق الملكية.
- تفرض دولة القانون بقاء المنافسة و استمراريتها.
- تخلق دولة القانون طلبا مجتمعيا من خلال ترقية مرتبات لائقة و طلبيات عمومية.

الترتيبات هذه مجتمعة تعني تدخلا سياسيا، من الأفضل أن يكون ديمقراطيا و ليس شموليا كلما أمكن في عملية توزيع المداخيل.

الأزمة و على ضوء ذلك، و بنظر جاك أتالي حلت عندما غاب هذا التوزيع الأمثل للمداخيل، و عندما نمت الاستدانة لفترة تجاوزت عشرين عاما، و خاصة في الولايات المتحدة الامريكية، فنما معها طلب رهن بواسطة أملاك تحصل عليها الأجراء عن طريق القروض. قام البنك الأمريكي بتخفيض نسبة الفائدة بداية من سنة 2001 بغاية التخفيض من عبء المديونية و بهذا الإجراء وفر البنك المركزي مصدرا إضافيا للغنى لأولئك الذين يدركون الاستثمار الأفضل من خلال الاقتراض. موازاة مع الإجراء هذا، و حتى لا تتأثر بمخاطر الديون المتراكمة، سنت المؤسسات المالية مجموعة من ميكانيزمات التأمين المعقدة سمحت بنقل المخاطر إلى بنوك أخرى و هيئات مالية لم تفهم تلك الميكانيزمات.

تلخيصا لأفكار جاك أتالي بشأن طبيعة الأزمة، ندرج الفقرة التالية دون تصرف:

<<il est temps de comprendre que tout cela trouve sa source dans le déséquilibre entre le marché et l'Etat de droit: ce déséquilibre réduit la demande, la transfère sur la dette et crée des rentes financières majeures, légales, a –légales, illégales voire criminelles. Parfaitement

conscient des risques que le développement anarchique des marchés fait courir au monde, les " initiés" font alors tout pour maximiser leurs profits, comme des voleurs se hâtant de rafler le plus possible d'or dans le coffre d'une banque, prenant tous les risques dans les dernières secondes d'un Hold–Up, juste avant l'arrivé de la police>>[1]

ثانيا: تشخيص أسباب الأزمة.

يفصل جاك أتالي في تشخيص أسباب الأزمة، أول أزمة مالية للعولمة كما يصفها، في مجمل ما كتب حولها و يبرز ظهورها في ظرف لم يكن ينبىء بحدوثها. العالم في مطلع الألفية الثانية كان يبدو على أحسن حال: أظهرت الحرية السياسية و المبادرة الفردية قدرة على النمو و الانتشار في أصقاع الأرض الأكثر بعدا و عزلة، و بدأ الفقر في الانحسار في افريقيا و آسيا و أمريكية اللاتينية، إضافة إلى أن العالم سجل أسرع نمو اقتصادي في تاريخه، وهذه المؤشرات كلها كانت توحي بإمكانية استمرار الحالة المستقرة لعشرات السنين بفضل عوامل إيجابية مثل النمو الديمغرافي ووجود ادخار فائض و توافر تطورات تقنية مدهشة سمحت بإعادة توجيه النمو الاقتصادي نحو التنمية المستدامة.

ما الذي حصل حتى وصل العالم إلى ما وصل إليه؟ سؤال يجيب عليه جاك أتالي بإسهاب و بالعودة إلى الحالة الأمريكية. حصلت الأزمة برأيه لأن المجتمع الأمريكي كان عاجزا عن ضمان أجورا لائقة للطبقات الوسطى، و بالتالي أرغمت على الاقتراض لشراء سكناتها و هذا سبب نموا في قيمة الأملاك و الإنتاج. و نتيجة لهذا الوضع، تمكنت المؤسسات المالية و منتجي المنتجات المالية و المقرضين من الاستحواذ على القسط الأكبر من الثروة المحققة من هذه العمليات، في ظل غياب مراقبة البنوك المركزية و الحكومات و الهيئات الدولية، مستعملة آليات معقدة و غير مفهومة من لدن الذين يطلبون القروض. و بالتالي نما الدين بشكل واسع و أصبح عبئه على شرائح واسعة من الناس عبئا لا يطاق فتولدت ردود أفعال تجاه الوضع تراوحت بين الخوف و فقدان الثقة و تجنب الوقوع في الدين. إذا، الأزمة بنظر جاك أتالي، إنما حدثت عندما استغل رجال المال

غطاء التقدم العلمي المدهش ليحولوا القسط الأكبر من الثروة و رؤوس المال إلى النظام المالي على حساب الصناعة و البحث. و في الكفة الأخرى من السلم الاجتماعي، قبلت أسر كثيرة وقعت في فخ الدين، أموالا اقترحتها عليها البنوك جراء ارتفاع قيمة أملاكها العقارية و توهمت بأنها ستفلت من قبضة أوضاعها المزرية و لم تكن بمقدورها أن تتفطن إلى أن البنوك قامت بتحويل مخاطر التدين إليها. و هكذا، بداية من سنة 2006، عجزت الكثير من الأسر هذه عن سداد فوائد القروض.

يعتمد جاك أتالي في تشخيصه للأزمة المالية على أسلوب النقد اللاذع، و العبارات التي يوظفها توحي بوجود تهمة مبطنة لكل الأطراف بما فيها وكالات التنقيط agences de notation، صندوق النقد الدولي FMI و حتى الثمانية الكبار G8 و يستغرب الغفلة التي أصابت الجميع و يستنكر الصمت الذي تلاها.

التشخيص يبرز الرعب الذي انتاب الوكالات الفيديرالية الأمريكية المسيرة للسكن، ثم شركات التأمين، و أخيرا المدخرين. الكل يعمل جاهدا على التخلص من الديون – و من جهتها الرساميل تهرب من عدد كبير من الدول. أما الدول المتقدمة فقدت لجأت إلى قطع تمويلاتها حتى على المؤسسات التي تتمتع بوضع مالي مستقر خوفا مما قد تحتويه أرصدتها من مال " ملوث".

يصف جاك أتالي بداية هذه الفترة(بداية سبتمبر 2008) بأنها انتقال من اقتصاد الثقة إلى الرعب. لكنه بالمقابل، يكاد يسعد لتفجر الأزمة لأنها كشفت مقدار الفساد المعشعش في النظام الذي يدفع بسخاء كبير للذين يتحكمون فيه و يوزع مداخيل غير مبررة للذين يتسببون في كذا كوارث.

الرعب بلغ مداه حينما توجه الجميع إلى مزيد من الإدخار مع رفض تحمل المزيد من المخاطر، و غلقت الأسواق المتبادلة في البنوك، و تولدت قناعة عند المواطنين بأن الكارثة تلوح في الأفق و بهذه القناعة سرعوا من حدوثها.

بعد ذلك يذكر جاك أتالي محطات هامة تؤرخ للأزمة و منها تاريخ 03 أكتوبر 2008 أين تجنب النظام المالي العالمي الانهيار التام بسبب قلة السيولة، و 13 أكتوبر من نفس السنة الذي عبر فيه الثمانية الكبار عن نيتهم في تدعيم بنوكهم بالموارد التي يحتاجون

إليها. و في الأخير، يستخلص نتيجة جسدها في تصريح دقيق وواضح ظهر على النحو التالي: الدين الخاص أصبح دينا عاما.

الملاحظ أن مقدارا كبيرا مما كتبه جاك أتالي حول الأزمة و أثناءها حمل إلى جانب التشخيص الذي عرضناه أعلاه جملة من التنبؤات تمثل توطئة لبديل اقترحه في أعمال أخرى متتالية و كل عمل على حده يعد اثراء لما سبقه.

كتب مثلا و متنبئا سنة 2008 بأن الأزمة هي في بدايتها بالرغم من خطاب التفاؤل الذي تنشره الحكومات، الأزمة، إن لم تواجه بترتيبات قوية، ستصيب في الصميم المؤسسات، المستهلكين، العمال، المدخرين، المقرضين، المدن، الدول. البنوك، و خوفا على مستقبلها و بسبب تراجع مواردها، سترفض أن تقرض حتى المؤسسات الأكثر نجاعة.

- الصين و اليابان سيسحبان مدخراتهما من الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن اعتادا على ضمان نهاية شهر مريحة للاقتصاد الأمريكي – و بالتالي، لن تجد أمريكا من سيمول دينها و قد يؤثر ذلك على الدولار و انهيار قيمته.
- الانحسار الاقتصادي قد يمتد إلى عشر سنين و هي المدة الضرورية للقضاء على الدين الذي تكابده الدول الغربية المحورية. هذا الانحسار سيسبب تدن في الاسعار لن تستطيع الحد منه حتى سياسة النفقات العامة ذات الشجاعة الكبيرة.

ويذهب جاك أتالي أبعد من ذلك حينما يتوقع بأن الأزمة ستتحول إلى أزمة اجتماعية و سياسية تهدد الملايين بالبطالة، و يصبح النظام السياسي موضع مساءلة و نقد و قد يرفض لأنه في أعين الملايين ظهر عاجزا عن التحكم في السوق الذي ساهم في انشاءه، و بعد هذا كله، سيحل التضخم بكل عنف، و أخيرا الديمقراطية بحد ذاتها في البلدان المتقدمة ستكون مهددة.

ثالثا: الإطار النظري المقترح لتخطي الأزمة.

يصف جاك أتالي في مؤلفاته الخطة التي يقترحها للخروج من الأزمة بأنها " برنامج استعجالي " programme d'urgence و شحن مقترحاته بشحنة من التفاؤل مرده كما كتب ، إلى أن الأزمة يمكن التحكم فيها و أنه في آخر المطاف يمكن تحويلها إلى مجرد

حادث عرضي واجه العالم في مسيرته un accident de parcours بالنظر إلى ما يملكه هذا الجيل من وسائل بشرية و مالية و تكنولوجية.

ندرج في هذا السياق فقرة تلخص بدقة معالم الخطة المقترحة ثم نعود لنفصل في فروع ما اقترحه جاك أتالي:

<< La gravité des menaces qui pèsent sur l'économie mondiale, et l'analyse théorique qu'on vient d'en faire plaident pour la mise en place d'un programme cohérent dans tous les pays, en particulier dans ceux ou les dérives des marchés des capitaux ont provoqué des ravages. Ce programme peut se définir par une seule ambition: rééquilibrer à l'échelle des nations, du continent, du monde le pouvoir des marchés par celui de la démocratie. Et d'abord rééquilibrer le pouvoir des marchés financiers par celui de l'Etat de droit>>.[1]

تبرز الفقرة أعلاه ضرورة تنفيذ برنامج متسق في جميع البلدان وخاصة في تلك التي خبرت قلاقل خطيرة و تتلخص غاية هذا البرنامج في فرض وإقامة توازن في نفوذ الأسواق و سلطة الديمقراطية على مستوى الدولة و القارة و العالم و هذا يعني إقامة قبل ذلك توازن بين سلطة الأسواق المالية و سلطة دولة القانون. يترجم جاك أتالي هذ التصور في خمس مراحل تتدرج في صعوبة التنفيذ و هي:

1- إعادة تنظيم الاقتصاديات الوطنية بداية من الاقتصاد الأمريكي مصدر الأزمة.

2- تدعيم آليات الضبط الأوروبية.

3- إقامة نظام مالي قانوني شامل.

4- إقامة حكومة دولية.

5- انجاز أعمال عالمية كبرى.

اتساقا مع الغاية البحثية للمداخلة، نركز اهتمامنا على المرحلة الرابعة " إقامة حكومة دولية " التي تعد بنظر جاك أتالي مرحلة من الحتمي أن يتجه العالم صوبها. و في ما يلي نعرض الأفكار المحورية التي وردت حول هذا الموضوع في كتابه:

"Demain, qui gouvernera le monde?"[1]

غدا حكومة العالم.

يميز جاك أتالي بين ثلاث مقاربات أساسية تهتم بموضوع حكومة العالم. الذين يدافعون عن المقاربة البراجماتية يرون أنه يكفي اتباع المنطق البراجماتي الذي أثبت نجاعته في إنجاز بعض البروتوكولات و المعاهدات. اجراءات التفاوض بينت أنه بالإمكان ارساء ميكانيزم شامل و ذي نجاعة نسبية يضمن حماية ملك عالمي.

أما البعض الآخر فيرى في الطريق الذي سلكته أوروبا في بناء نفسها النهج الأنسب الذي يجب العمل به على المستوى العالمي. و معنى ذلك، البداية تكون من ادماج الأسواق ثم تليها مرحلة ادماج المعايير ثم التوجه نحو العملة الواحدة و الادماج الضريبي، و أخيرا، و فقط حينئذ، يأتي الاهتمام بالإدماج السياسي و المؤسساتي.

أما المقاربة الثالثة فتطمح إلى تخليص الهيئات الكبرى القائمة من هويتها الحالية و منحها بعدا ديمقراطيا و ما بعد وطني، و معنى ذلك تطويرها لتبلغ النمط المثالي الذي يشبه لعبة Puzzle التي تتسق أجزاءها و تترابط شيئا فشيئا و بصورة تدريجية.

يعترف جاك أتالي بعد عرضه للمقاربات الثلاث بعجزه عن التنبؤ بالضبط بالعامل المؤثر الذي سيوجه العالم نحو وجهة دون أخرى و لكن هذا لا يعني البتة انتظار حضور هذا المؤثر للشروع في بناء عالم الغد كما لا يعني توقع الارادة الخيرة لأقوياء العالم.

يقترح جاك أتالي ورشات عشر يجب الشروع في العمل فيها بدلا من انتظار حدوث أزمة عالمية خطيرة تزيد من فرص إقامة حكومة العالم. برأيه، دون هذه الأزمة فإن أقوياء العالم و الذين ينافسون هيمنتهم لن يستطيعوا و لن يفكروا في إقامة الحكومة هذه.

التاريخ أكد أن أقوياء العالم لا يميلون إلى تغيير الوضع القائم و من جهتها القوى الجديدة لا تطالب أكثر من أن تشغل مكانة في الاقتصاد العالمي و الهيئات الدولية، إضافة إلى أن

الدعوة إلى إقامة حكومة العالم تثير شكوكها لأنها ترى في هذه الحكومة وسيلة لإخفاء استمرار سيطرة الأقوياء، في بسط سيطرتهم في الوقت الذي بدأت تتهالك.

إطلاق الورش العشر.

كما ذكرنا أعلاه، الورش العشر التي اقترحها جاك أتالي لا تنتظر برأيه، حدوث أزمة على مستوى كبير من الخطورة حتى تدخل حيز التنفيذ، بل بالعكس تماما، من الأهمية بمكان الشروع فيها اليوم قبل الغد.

الورشة الأولى: الاستفادة البرغماتية من عملية الاندماج الفيدرالي.

تهتم الورشة هذه بتجربة تشكيل حكومات فيدرالية تجمع شعوبا و لغات و ثقافات مختلفة، و على ضوء هذه التجربة، فإن ما يقارب نصف سكان العالم يعيشون في ظل النظام الفيدرالي. النظام الفيدرالي يتطلب توافر بعض الشروط الحيوية أهمها توافر الاحساس بالانتماء إلى الجماعة ووجود تحديات مشتركة و توافر أسباب العيش المشترك.

غياب كذا شروط، قد يؤدي إلى التكتل و التجمع تحت ضغط عوامل موضوعية مثل التهديدات الخارجية، و قد يؤدي إلى تفكك التكتل بغياب عوامل موضوعية مثل انحسار التهديدات و تراجعها.

الورشة الثانية: الوعي بأسباب وجود البشرية.

قد تتحول البشرية إلى عدو نفسها إذا ما نظرت إلى ذاتها بغير الاحترام الواجب و عليها بالتالي أن تعي أسباب وجودها و عليها أن تقتنع بأن عيشها ملتحمة و متحدة أفضل من أن تبقى منقسمة.

يضطلع بمهمة تأسيس الوعي هذه، مجموعة من الناس يهتمون بمستقبل العالم و منهم المناضلون في العمل الجمعوي، الصحفيون، الفلاسفة، المؤرخون، الدبلوماسيون و المبدعون باختلاف مشاربهم...هؤلاء و آخرون سيخلقون يوما ما ديناميكية قوية تخترق الحدود و ستغدو قوتها أشد من قوة السوق و سيجسدون الملكية العالمية العامة.

الورشة الثالثة: الحذر أكثر من التهديدات.

جانب من الوعي المذكور في الورشة الثانية ينسحب على العمليات و الترتيبات الواجب القيام بها حتى تنمي البشرية قدرتها على الحذر أكثر مما قد يعرضها للدمار. التقدم العلمي جعل أمر التنبؤ بالتهديد أمرا ميسورا سواء تعلق الأمر بالتهديد النووي، البيئي او انقراض

الكائنات. عندما تتزواج قدرة التنبؤ بطبيعة التهديد، يتدعم وعي البشرية بما يجب أن تقوم به على صعد مختلفة و متعددة.

الورشة الرابعة: العمل على احترام القانون الدولي القائم.

القانون الدولي القائم لا يحتاج إلى تغيير بل إلى تجميع و تصنيف لكل المعاهدات السارية المفعول و التي من المفروض أن تطبق على مستوى عالمي.

هذه المعاهدات المجمعة قد تحتاج إلى لجان خاصة مهمتها السهر على تطبيق القرارات و قد نحتاج إلى امكانيات جنائية نمرر من خلالها قرارات ردعية في حال وقوع تجاوزات. و مستقبلا، قد يتحتم علينا إقامة محاكم ايكولوجية، اقتصادية و مالية. و في آجال بعيدة قد نضطر إلى تعديل ميثاق الأمم المتحدة حتى تطبيق القرارات بالسرعة المطلوبة.

الورشة الخامسة: انجاز مشروع تلو المشروع.

البشرية لا يمكنها أن تكتفي بسن مجموعة من القواعد القانونية بل يقع على عاتقها انجاز عدد من المشاريع المشتركة التي بلا شك ستضمن نموا اجتماعيا، ثقافيا، جغرافيا و بيئيا صفته الاستمرارية. الجماعات المهتمة بإنجاز هذه المشاريع من الضروري أن توفر الامكانيات اللازمة لمثل هذا الانجاز، و من جهة أخرى، عليها أن تترك الباب مفتوحا أمام أعضاء جدد. و على هذا النحو، تنشأ التكتلات الجديدة التي بإمكانها أن تحقق مزيدا من ادماج عدد من الدول الأوروبية و الإفريقية و بلدان آسيا. و بالتالي قد يجد بلد ما نفسه عضوا في العديد من التكتلات الجهوية المجاورة.

الورشة السادسة: تأسيس مجلس الحكومة.

تهتم الورشة السادسة بإحداث جملة من الإصلاحات تمس الهيئات الدولية لترقيتها حتى تبلغ مستوى الهيئات المثالية. تناول جاك أتالي هذه الهيئات بالكثير من التفصيل و التدقيق في الجزيئات، و يكفي في هذا المقام أن نذكر أنه قدم تصورا شاملا لما قد تتحول إليه هذه الهيئات بعد خضوعها للإصلاحات.

الورشة السابعة: تأسيس غرفة للتنمية المستدامة.

يستجيب تأسيس غرفة للتنمية المستدامة لحاجة البشرية أن تأخذ في الحسبان الآماد الطويلة. تتشكل هذه الغرفة العالمية من 300 شخصية تختار من طرف الحكومات، و هم

شخصيات لها شرعية أكيدة: المتحصلون على جوائز نوبل، حكاما مارسوا السلطة في سياقات ديمقراطية، قدماء المسيرين في هيئات دولية، فلاسفة، أنثروبولوجيين.

هذه الغرفة تحرص على تمثيل بإنصاف الثقافات المختلفة و تجسيد المقاربات المختلفة في فهم مصير البشرية.

الورشة الثامنة: التحالف من أجل الديمقراطية.

يتأسس التحالف من أجل الديمقراطية حتى يمنع مجلس الحكومة من التحول إلى ديكتاتورية، و هذا التحالف عبارة عن إدارة دولية جديدة تضم الامم الديمقراطية فحسب.

هذا التحالف يحتفظ لنفسه بحق التدخل في البلدان الواقعة تحت سلطة الأنظمة الديكتاتورية، و سيعمل على تعزيز الديمقراطية في تلك البلدان بما تملكه من امكانيات تكنولوجية و مالية و عسكرية. التحالف هذا طالما بقت الانظمة الديكتاتورية قد ينافس أو يتصادم مع حكومة العالم، لكن إذا أصبح العالم كله ديمقراطيا، تحول إلى ذراع أيمن لحكومة العالم.

الورشة التاسعة: توفير الموارد لحكومة العالم.

تحتاج الاصلاحات و الترتيبات المذكورة سابقا إلى موارد عالمية جديدة قد تتوافر من خلال اسهامات الدول أو من خلال ضرائب عالمية جديدة. على أية حال، عدد جاك أتالي أشكال الضرائب الجديدة و قدم أرقاما كثيرة السياق لا يسمح بذكرها و لا مناقشتها.

الورشة العاشرة: الحركية الشعبية.

تهتم الورشة العاشرة بكيفية اشراك العدد الأكبر من سكان العالم في اتخاذ القرارات سواء تعلق الأمر بقضية بسيطة أو مصيرية تهم الملايين من البشر. ذكر جاك أتالي الاستفتاء و الانتخاب الالكتروني و استحداث المواقع الالكترونية ثم ناقش الشروط التنظيمية و القانونية المؤطرة للتمثيل و الحراك الشعبيين.

خاتمة نقدية:

تضاف أعمال جاك أتالي حول الازمة إلى الكم الهائل من الدراسات التي خصصت للموضوع و هذا يجعلنا نسجل وقفة لتقييم ما قدمه حتى نقف على أوجه الاسهام التراكمي إن وجدت.

- الملاحظ أن جاك أتالي فكر في الأزمة بتغييب الآليات و المضامين التي عادة ما نصادفها في خطاب الأزمة و اعتمد كليا على فكره الموسوعي الذي لا نشك فيه اطلاقا، لكن فكره الموسوعي هذا جره إلى التقوقع حول ذاته و وجهه إلى العمل دون الاستناد إلى مرجعيات نظرية خارج مرجعيته.
- و بسبب ذلك يظهر خطاب جاك أتالي بمظهر الخطاب النخبوي المتعالي العارف بكل شيء والملم بأدق التفاصيل و الموجه إلى شرائح عريضة من الناس و خاصة صناع القرار في العالم الذين " يجب أن يفهموا " ما عليهم القيام به بالعودة إلى ما يكتبه حول الأزمة. أسلوب الكتابة و إن كان مفهوما و دقيقا، فإنه يوحي بصورة معلم يعطي دروسا أخلاقية لتلاميذ جهلة.
- لم نقف في ما كتبه جاك أتالي على محطات تردد و تشكيك و نقد لمضامين أعماله و كأنها أعمال كاملة لا يرقى إليها على الأقل النقد. و الحق أن الكثير من التنبؤات التي أطلقها حول الأزمة لم تتحقق. و من جهة أخرى لم يتطرق إطلاقا إلى ما قد يحدث في بلدان مثل اليونان، البرتغال، و اسبانيا، و هي أزمات فرعية داخل الأزمة الأم.
- اصطبغ الإطار النظري الذي اقترحه للخروج من الأزمة بمسحة من التفاؤل المفرط جعله يقفز على واقع عالمي كله تناقضات صارخة و صادمة و يصل إلى شاطئ عالم مثالي تسند أجزاءه بعضها بعضا. حكومة العالم التي يحلم بإنجازها في ظرف قرن من الزمن، فكرة سحرية تدخلنا عالم اليوتوبيا، فلا الحروب و لا الانقسامات و لا استراتيجيات أقوياء العالم ستسمح ببلوغ هذه المرحلة. فالعصر، عصر مزيد من الهيمنة و إحكام القبضة على المواقع و ليس عصر انحسارها
- يحضر في أعمال جاك أتالي وبشكل قوي نمطان من التحليل: تحليل اقتصادي قائم على الصرامة العلمية في تقديم المعلومة والحجة،وفي اعتقادي،قليل هم

الذين في مقدورهم مقارعة ما عرضه المفكر من مواقف في هذا السياق والمستوى. ومن جهة أخرى، يعتمد المفكر على تحليل اجتماعي وفلسفي مغلف بشحنات أخلاقية، له ماله وعليه ما عليه. البناء الفكري في التحليلالاقتصادي يظهر متسقا ومنسجما، لكن التحليل الاجتماعي يترك فجوات سهل الوقوف عليها.

- تتضمن أعمال جاك أتالي جملة من المفارقات- ولا أحسبها تناقضات غير محسوبة ومقصودة- وأهمها على الإطلاق تلك التي تجمع بين دعوته إلى إقامة حكومة ديمقراطية عالمية و اعترافه في أكثر من سياق بأن أقوياء العالم لن يستسيغوا التنازل عن الأمر الواقع الذي يضمن استمرار مصالحهم الحيوية التي ستغدو عرضة للمساءلة في حال تحققت الحكومة العالمية.
- ينزلق فكر جاك أتالي من مواقف مدافعة عن عالم أفضل لجميع الدول إلى مواقف مدافعة عن العالم الراهن وليس أدل على ذلك دفاعه المستميت على القانون الدولي والذي لا يرى فيه مايحتاج إلى تغيير جذري في الأمد القريب.كما أن وقوفه إلى جانب مبدأ" الحق في التدخل" دون نقده و لامناقشة تبعات تطبيقه فيما سبق،يفضح الفكر المركزي لديه و الذي يعد تقليدا راسخا عند مفكري الغرب مع اختلاف مشاربهم.
- الوصفة الجاهزة التي قدمها المفكر في أعماله جعلت الكثير من البلدان على هامش العالم الذي يفكر فيه بالرغم من الإشارات الخفيفة التي خص بها البلدان العربية و الإفريقية و بلدان آسيا. لم يظهر بوضوح كيف ستدخل بلدان العالم في سباق محموم و جاد لبلوغ حكومة العالم في الوقت الذي ستنطلق بلدان قبل أخرى.
- يحث المفكر في الكثير من الوضعيات على العمل الجماعي القائم على الانسجام سواء على مستوى الدول أو على مستوى الجماعات و الافراد، لكن ما كتبه لا

يحتوي على إشارات قوية توحي بأنه نسق جهوده مع أطراف بعينها حتى تمكن من اقتراح تلك الخطة المثالية للخروج منالأزمة و بذلك يؤكد النزعة الفرديـــة و المركزية الذاتية عند مبدعي الغرب عموما.

الهوامش:

- 1)- Jacques Attali: la crise, et après? Ed Sedia, Alger, 2008, p 09
- 2)-Ibid, p 15
- 3)-Ibid., p 119.
- 4)-Jacques Attali: demain qui gouvernera le monde? Ed Hibr, Alger, 2011.

المراجع:

-Jacques Attali: la crise, et après? Ed Sedia, Alger, 2008.

-Jacques Attali: survivre aux crises, Ed Sedia, Alger 2010.

-Jacques Attali: Tous ruinés dans dix ans, Ed sedia, Alger, 2010.

-Jacques Attali: Demain. qui gouvernera le monde? Ed Hibr, Alger, 2011.